Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

القيم والطقوس المقدّسة في القصّة القصيرة

أثير محمد شهاب [١][*] ، **ماجدة عبد الزهرة طعمة** [٢]
(١) جامعة بغداد- كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية ، **بغداد، العراق**
(٢) جامعة بغداد- كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية ، **بغداد، العراق**
(*) الكاتب المسؤول: Atheer.arabic@coeduw.uobaghdad.edu.iq

الملخص
يعدّ المقدّس الديني من أبرز الظواهر في الحياة الإنسانية، ويشكّل الحضور اللافت في الفكر الديني والدنيوي، وأنَّ الطقوس المقدّسة والقيم المصاحبة له هي تجسيد للمقدّس الديني، فالطقوس الدينية تحمل في واقعها العملي نزعة التقديس، وقد حفلت القصة القصيرة في العراق بنماذج تناولت المقدّس الديني بكلّ أنماطه، وقد توقفنا في هذا البحث عند الطقوس والقيم الدينية المقدّسة التي هي انعكاس أو تعبير صريح عن القيمة العليا للمقدّس في الإبداع القصصي ومن قبله الفكر الإنساني .
الكلمات المفتاحية: المقدس، القيم، التقديس، القصة القصيرة

تأريخ الاستلام: ١٢-٣-٢٠٢٥ تأريخ القبول: ٢٢-٤-٢٠٢٥ تأريخ النشر: ١-١٢-٢٠٢٥

The Sacred Values and Rituals in the Short Story By

Atheer Mohammed Shehab [1][*], Majida Abdul Zahra To'ma [2]

(1) University of Baghdad - College of Education for Women / Department of Arabic Language, Baghdad, Iraq

(2) University of Baghdad - College of Education for Women / Department of Arabic Language, Baghdad, Iraq

(*) Corresponding author: Atheer.arabic@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Abstract
Religious sacredness is considered one of the most prominent phenomena in human life, and it constitutes a noticeable presence in religious and secular thought. The sacred rituals and the accompanying values are an embodiment of religious sacredness, as religious rituals inherently carry a tendency towards sanctification in their practical reality. Iraqi short stories have been rich with examples that dealt with religious sacredness in all its forms. In this research, we focused on the sacred religious rituals and values that are a reflection or explicit expression of the supreme value of the sacred in short story creation and, before that, in human thought.
Keywords: Sacred, Values, Sanctification, Short Story.

Received: 12-3-2025 Accepted: 22-4-2025 Published: 1-12-2025

المقدمة:
تمثّل المفاهيم الراسخة نقطة جذب وتمركز في الفكر والأدب والفن، وفي كلّ الفعاليات الفكرية لكونها تتضمن محمولات فكرية وفلسفية وجمالية ووجودية، وتجسّد نوعاً من الجدل والأسئلة والرؤى التي من شأنها أن تستقطب الأذهان، وتؤسس لمنطق البحث عن الحقيقة، والكشف عن المسكوت عنه، وتسعى إلى التعالق بين الثنائيات والفصل بينها، وتتوغل في الملتبس والغامض والوهم والحقيقة، واليقين والشك، والصدق والزيف، والواقع والمتخيل، والتجسيد والتجريد، والرمز والواقع، والعاطفة والعقل... الخ.
ويعدّ المقدّس من أبرز المفاهيم حضوراً واشتباكاً في عمق المنظورات الأدبية والفكرية والفنية، ويتمّ اللجوء إليه وتفكيك تمثّلاته ودلالته بفعل البحث عن فك الاشتباك بين الدنيوي والغيبي لأنه المدخل إلى التصدّي للتناقضات الثنائية بل هو مساحة لكشف الأضداد، ووسيلة

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

من وسائل الإسقاط والترميز والترحيل على مستوى الطروحات الدنيوية والأسئلة المتشككة ومساءلة الوعي، ويتضمن الاشتباك مع المقدّس نوعاً من الاختلاف والاختراق للمساحات القلقة فضلاً عن تأسيس نزعة التمرّد والبحث عن الاحتجاج والإحالة والرؤى (الراديكالية) التي تسعى لتحريك الساكن ورفض الفكر السكوني النمطي المتطامن (العياري، ٢٠١٤، الصفحات ١٠-١١) (Al-Ayari, 2014, pp. 10-11).

تسوّغ هذه التوجهات بسبب أنّ المقدّس يمثل جزءاً مهماً من الوجود الإنساني ويشكّل البؤرة المركزية سواء في الفكر الوضعي (الدنيوي) أم في الفكر الغيبي "وحين جاءت الأديان السماوية تباعاً (اليهودية والمسيحية والإسلام) إلى حياة الإنسان واستقرت عقيدة إيمانية جلبت معها أنماطاً من الوسائط المقدّسة التي أسهمت في استبدال ممارسات الإنسان الدموية، لمحاكاة أفعال أخرى تضمن فكرة الخلاص من الموت وتمنح الإنسان في ظل إيمانه حقّه في الوجود" (العياري، ٢٠١٤، صفحة ٩) (Al-Ayari, 2014, p.9) ، وهذا ما سعى إليه (هيدجر) عندما قال "من الصعب التفكير في ظاهرة المقدّس من دون التساؤل عن حقيقة وجود الكائن فيه، وكيفيات اتّصاله بكلّ ما هو متعالٍ" (هيدجر، ١٩٧٧، صفحة ١٧٣) (Heidegger, 1977, p. 173).

يؤسّس التوّجه إلى المقدّس الصراع بين الدنيوي والغيبي أو الأفقي والعمودي، ويوظّف حزمة من اليقينيات والأسئلة بما يؤدّي إلى تكوين الأفكار والهوية والنزعة الروحية أو الماديّة ويكشف عن سلوك عملي وتمركز ينحو باتّجاه السلوك والتأمل والرؤى المنبعثة من طبيعة ذلك النزاع، وهناك من يوظّف المقدّس من أجل التقديس وصناعة آماله، وهناك اتجاه معاكس يسعى إلى نقد التقديس ونزع القداسة وإسقاط الهالة بما يخلق فضاءً لصراع الثنائيات المتناقضة أو الضدّية وذلك كلّه يدخل في إطار التعدّدية الثقافية والفكرية، "ونجد أن السلطة الدينية في عصورها قد اتجهت نحو هالة القداسة لاعتبارات تتعلق بصميم القوّة الغيبية" (شهاب و محمود، ٢٠١٧، صفحة ٤٨٧) (Shihab and Mahmoud, 2017, p. 487).

حفلت القصّة القصيرة في العراق بنماذج من الإشتباك مع المقدّس سلباً أو إيجاباً، ووظفت خطاباً اعتمد في جوهره توظيف المقدّس بأنماطه، وتبئير وجوده التعبيري داخل السرد، والإفادة منه في تأسيس الأفكار والمفاهيم والرؤى واستحضار تمثّلاته على مستوى تفكير الشخصيّات ووعيها والمجتمع ومراحل تطوره، وقد تصدّت القصّة القصيرة بوصفها الفن السردي الأكثر رشاقة إلى لحظات الالتباس وصراع الذات والآخر وصراع الثنائيات والهويات.

القصّة القصيرة والمقدّس:

إنّ القصّة القصيرة هي الفن الأصعب لأنها مختزلة الأحداث والشخصيّات بل تتناول في أحيان كثيرة الشخصيات الاستثنائية والمهمشة والقلقة والمأزومة وذلك يتيح المجال لتناول الأفكار والرؤى الكونية والوجودية والتعمّق في (سيكلوجية) بعض الشخصيّات التي تعاني من الإغتراب والتمرد والاحتجاج مما يجعلها قريبة من التماس مع جميع أنماطه سلباً أو ايجاباً وتجعل منه وسيلة من وسائل الكشف والتمرد والإحتجاج والرفض أو التماهي مع الواقع المعيش، وغالباً ما تكون ملتبسة ومأزومة وغامضة مما يعمق هذا التوجه، إنّها تتسّم بميسم الإلتباس أكثر من ميسم المباشرة والوضوح، والإلتباس مهمة إيجابية في القصّة القصيرة لأنها تجعل الهوية إنسانية شاملة" (الزكري، ٢٠١٢، صفحة ٢٧٦)(Al-Zakari, 2012, p. 276) ، والقصة في دلالتها العامة "تقترن باقتراح تصنيف إجناسي يحوي قائمة من الأنواع الفرعية، ويدعى كل نوع من الأنواع الفرعية (جنس) ويقصد به ضروب الكتابة القصصية" (العنبكي و مهدي، ٢٠١٧، صفحة ٣٧١) (Al-Anbaki and Mahdi, 2017, p. 371).

سنقف في هذه الدراسة عند تناول تمثّلات المقدّس في القصّة القصيرة العراقية بمختلف صوره وأنماطه عبر المعطيات والعيّنات بمختلف توجّهات كتّاب القصّة القصيرة وتنوع تجاربهم واختلاف مراحلهم وأجيالهم، وتعدّ القيم والطقوس من أبرز تمثلات منظومة التقديس في المجتمعات عموماً، والطقوس هي "مجموعة من الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسيّة، ولعلّ الحركات الإيقاعية والرقص البدائي كان أول أشكال هذا السلوك الطقسي التلقائي، الذي تحوّل تدريجيّاً إلى طقس مقنن تجري تأديته على وفق قواعد مرسومة، مع تنظيم التجربة الدينية للأفراد وضبطها من خلال معتقدات واضحة تؤمن بها الجماعة، ويرى الأفراد فيها تعبيراً عن تجاربهم الدينية الشخصيّة" (الحجاج، ٢٠٠٢، صفحة ٣٧) (Al-Hajjaj, 2002, p. 37) ، فالطقوس ظواهر وموروثات تعمّق من الإنشداد والتعلّق بهاجس الانتماء والولاء والتماهي المطلق، وتحويل الطاقة الروحية إلى سلوك ومظاهر مؤطرّة بنوع من الإفصاح والإشهار لتوحيد المنطلقات والمشاعر والصفاء الذاتي، وبما يؤدّي إلى الارتكاز على هذه الطقوس والقيم المصاحبة لها وادماجها مع الواقع الاجتماعي وجعلها أحد ثوابته.

تطبيقات نقدية:

تضمنت القصّص العراقية القصيرة كثيراً من مدلولات هذه القيم والطقوس، وقد تناولها الكتّاب بأساليب وتوجّهات مختلفة، لأنّها تمثل جزءاً من الواقع المنظور وتشكيل الشخصيات ومرجعياتها الموروثة والقارّة، ويمكن أن نعدّ قصة (الحاج) أنموذجاً تضمن تجسيد جانب مهم من جوانب القيم والطقوس ذات التأطير القداسي عبر التعمّق ووصف الطقوس الدينية المرتبطة بفريضة مقدّسة وواجبة هي (الحج)، وقد انطلقت هذه الدلالة من عنوان القصة، وكان الإستهلال وصفاً لمجموعة من الحجّاج وهم يتوّجهون إلى بيت الله الحرام قادمين من المدن والدول البعيدة، وما يرتبط بذلك من ممارسات وشعائر وبما يجسّد طقوس الحج وتعاليم العبادة وتبدأ القصّة بهذا الإستهلال، وقد وقفت القصّة عند هذا الحدث الذي "هو الوقود الذي تستعر به الشخصيات وتتفاعل معه، ومن دونه تبقى الشخصيات معطّلة وغير فعّالة، ولا يمكننا تصور وجود شخصية من دون أحداث تجسّدها ... فالعلاقة تكاملية ولا يوجد أحدهما إلاّ بوجود الآخر" (سلمان و عبود، ٢٠١٥، صفحة ٤٦٢) (Salman and Aboud, 2015, p. 462) ، و"بعد أن انتهوا من صلاة الفجر، أوقد الحجاج ناراً صغيرة في قطعة الحديقة المحاذية للنهر، وتحلّقوا حولها، كانوا يرتدون العمائم البيض ولهم لحى طويلة متناثرة... ما يزال حجّاج آخرون ينامون بكلّ أرديتهم" (خضير، ٢٠٠٦، صفحة ٤٩) (Khader, 2006, p. 49) ، ولعلّ هذا المقطع فيه عرض واستدلال لطبيعة الطقس الديني المتمثل بالطريق إلى أداء الفريضة بوصفه طقساً مقدّساً وفريضة أساسية لكل مؤمن مسلم وارتباطها بأداء الصلاة، ووجود الحجّاج قرب النهر إشارة إلى طلب الماء للتطهير وممارسة طقس الوضوء، واللجوء إلى أحضان الطبيعة والجلوس على الأرض لتوكيد قدسيّة التوّحد والزهد والتعلّق بحبّ العبادة والآخرة، والعزوف عن مظاهر التزيّن والبذخ، والقصّة عبارة عن أداء يعمّق ايمان الحجاج وتوجههم إلى بيت الله الحرام، وما يرتبط به من طقوس وشعائر كالصلاة

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

والوضوء والأدعية، والاهتمام بالزيّ النقي الطاهر ببياضه والعناية بالنظافة وقصّ الشعر والركون إلى السكينة والانقطاع عن هموم الدنيا ومشاغلها لأنّهم في رحاب الله.

وأراد القاص أن يجسّد هذه المشهدية ويمنحها بعداً إنسانياً ودينياً بالإشارة إلى تعدّد أصول الحجاج وأعراقهم، وقدومهم من مدن وبلدان وأقاصٍ بعيدة لتأدية فريضة الحج المقدسة، "هم أربعة حجّاج هنود: ثلاثة كهول بعمائم بيض ورابعهم أفتاهم بعمامة سوداء... كانت لهم جميعاً تلك الهيئة الزاهدة المميزة للحجّاج" (خضير، ٢٠٠٦، صفحة ٥٠) (Khader, 2006, p. 50)، والكاتب أراد أن يؤكّد توحّد الجميع تحت ظلّ الله وفريضة الحج إذ يذكر تنوّع الحجاج إذ منهم العرب والهنود والأفغان والبلوش والأتراك والأفارقة لا فرق أمام الله في فريضة الحج الجميع متوحّدون.

ونلحظ في قصّة غازي العبادي الموسومة بـ(أغنية يموت لأجلها الإنسان) بعض العبارات المقدّسة والمحرّكة لحياة الإنسان المسلم مثل قوله: "يجب أن تحمد الله وتشكره إذ حفظها لك للآن... ولكن بحق الإله لم أفعل ذلك... لديّ شهود عشرة صبيان مثل الملائكة... قال السائق متسائلاً ثم أضاف خرجت منذ الصباح الباكر على باب الله" (عليوي، ٢٠٢٢، صفحة ٧١) (Aliwi, 2022, p. 71) ، فالنص السابق كما يبدو واضحاً اعتمد قيماً دينية ومفردات راسخة في ضمير المسلم إذ أنّ حمد الله وشكره من المقدّس المؤثر في حياة الإنسان المسلم فهو أي الله حاضر في الضمير والروح ثمّ القسم بالله المطلق المقدّس يؤكد رسوخ القيمة الدينية والروحية والمعنوية للذات الإلهية، بل حتّى لفظة الملائكة المذكورة في القرآن صارت لها وقعها النفسي الدال على البراءة والنقاء والصفاء لأن الله ﷻ وصف الملائكة في القرآن بما يجعل صورتهم مشرقة مبهجة، ونلحظ حتى سعي الإنسان المسلم لكسب رزقه مرتبط بالقيمة المقدّسة لله ﷻ حين قال المتحدث في القصة خرجت "على باب الله" وهي لفظة متداولة ذات دلالة قيمية.

ويتجلى في قصة (إله المستنقعات) لمحمّد خضير أنموذج آخر يجسّد المقدّس الديني واسقاطات الواقع المأزوم، إذ تشير القصّة إلى الابتلاء الذي يتعرّض له ابن المؤذّن في المسجد (إدريس) الذي كان دافعاً إلى التوّجه إلى الله للخلاص من البلاء والأمراض عبر الدعاء النابع من أعماق الروح وهو يلتمس من الله الرعاية والرحمة وإبعاد الشرّ، وقد عبرّت القصّة عبر سيميائية العنوان بين الذاتي والموضوعي المؤطّر بالقيم الدينية، "فالقيم لا يمكن أن تكون موضوعية بمعنى أنها مستقلّة عن الإنسان ومنبثقة من طبيعة الأشياء وصفاتها الكامنة فيها" (الحاج، ١٩٨٣، صفحة ١٩١) (Al-Hajj, 1983, p. 191).

يقول الكاتب وهو يتحدّث عن (إدريس) ابن مؤذن المسجد والاسم ذو دلالة دينية مقدسة تحيل إلى النبي إدريس (عليه السلام) المذكور في القرآن، "لتتذكر إدريس!! إدريس ابن مؤذن المسجد... وفي نهاية الأسبوع رقد إدريس مريضاً بالحمّى، وفي الأسبوع التالي كان ما يزال متغيباً عن المدرسة... كيف يأتي وهو ضعيف نقله أبوه إلى حجرة في الجامع" (خضير، ٢٠٠٦، صفحة ٧٢) (Khader, 2006, p. 72)، كان الأب المؤذن الذي لا يعرف غير الله يتشبث بالدعاء من أجل شفاء ولده والدعاء قيمة مقدّسة بلا شك تجعل الإنسان متطامناً بأن الله لا يتخلى عنه أبداً لاسيما إذا كان الإنسان مؤمناً نقياً في إيمانه نذر نفسه لفروض الصلاة والصوم والعمل الصالح.

هناك توجّه في بعض القصص لنقد التوظيف النفعي للقيم المقدّسة ويتجلّى ذلك في قصّة (سيدنا الخليفة) للقاص عبد الستار ناصر التي تجسّد نزعة توظيف المقدّس لأغراض سلطوية عبر تصوير قيم ووصايا تتحوّل من القداسة إلى إضفاء قداسي على متبنيات وقوانين صارمة وقمعية ترتبط بمنظومة استغلال السلطة للقيم الدينية من أجل تحويل المجتمع إلى قطيع يفهم التوّجهات القيمية الدينية بجهل يتم تأطيره بالمقدّس من أجل تمرير الدوافع الكامنة لاستغلاله وجعلها وسيلة للهيمنة، واضفاء نوع من التحكّم، واقترنت القصة بما شهده العقد السبعيني من القرن الماضي من ظهور (شرطة الآداب) في بغداد لملاحقة الفتيات اللاتي لم يلتزمن بالقيم الدينية والحشمة والخوف من الله، وفرض نوع من الزّي المحافظ وقص شعرهن بشكل موجع فضلاً عن صبغ سيقانهن بما يؤدي إلى فرض سلوك قيمي ديني قائم على استثمار المقدّس والنطق باسمه، ووصف الذين يعارضونه بالمروق على الدين، يقول القاص "نحن ابناء مدينة (٣٢) وحي الزعماء وشارع الرومان ومشاتل حسّون وبستان شناوة نلتمس من خليفتنا المعظّم تحصين أمّهاتنا وشقيقاتنا ضد الزنا واعفائهن من دفع الجزية، كما نلتمس رحمة مولانا أن يكفّ رجاله من جلدنا (علناً) أمام حبيباتنا وزوجاتنا، ونوافق على فعل هذا (سرّاً) للحفاظ على كرامتنا بينهنّ، أدام الله عمر الخليفة ونرجو أن يحفظه من كلّ مكروه" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٣) (Hussein, 2022, p. 203) ، فالقصة ارتكزت على نقد القيم ذات التسويغ النفعي المرتبط باستثمار الدين من أجل الهيمنة على الآخرين.

وظف القاص عبد الستار ناصر أيضاً ثيمة أخرى عبر استثمار الهالة المقدّسة والاعتبارية والقيمية وإدماجها مع القيمة الأدبية والثقافية في قصته (الأفعى والدرويش) عبر استخدام الرمزية المرتبطة بقيم الدروشة وزهدها وإغراقها في ذكر الله الذي يعدّ هو القيمة الدينية الأكبر لدى الزهاد والمتصوفة، لكنّ القاص استثمر تلك القيم وقداستها لفضح ما هو مستور في الثقافة والأدب وطرق التحايل في السرقة الأدبية حين يلجأ الكاتب بطل القصة إلى سرقة نصوص من أعمال المشاهير لكتابة قصّة نالت الإعجاب والتقدير وهي تعكس خاصية القيم الدينية ولعلّ دلالة العنوان تشير إلى هذه الهالة، يقول بطل القصة أو الشخصية المحورية "لم أصدق النجاح الذي حققته قصتي (الأفعى والدرويش) كأنني لم أكتب قصّة واحدة بمستواها، بعد ثلاثين سنة من الكتابة وسهر الليالي صارت هذه القصّة وحدها التي رسمت حياتي وثلمت كبريائي وأنزلتني إلى الحضيض أمام ضميري، فأنا لم أكتبها ولم تأخذ من وقتي سوى دقائق نقلها على الورق، صرت بين ليلة وضحاها نجماً ساطعاً من نجوم القصّة القصيرة مع أنّ الأفعى والدرويش هي عجينة لقيطة" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ٤٦) (Hussein, 2022, p. 46) ، وهذه القصّة تكشف عن ظاهرة خلق القيم بالارتكاز على ما هو مقدّس بوجود فعل (الدروشة) ودلالته، فطقوس الدروشة إشارة إلى قيم اكتسبت التبجيل، وجعلها وسيلة لتصدير القيم مع أنّ عنوان القصّة يشير إلى ثنائية الزيف والحقيقة أو القبح والجمال وهي مفاهيم ترتبط بانتاج القيم، ونلحظ في القصة مزيّة فنية لافتة وجديدة على مستوى الفن القصصي وأعني تقنية ما وراء السرد أو (الميتاسرد) في الجانب الجمالي والفني لبناء القصّة متمثلاً بوجود قصّة داخل قصّة، وما وراء السرد تقنية ما بعد حداثية ظهرت في الرواية، عرّفت (ليندا هيتشون) ما وراء السرد بأنه "رواية عن الرواية، أي الرواية تتضمن تعليقاً على سردها وهويتها اللغوية" (أبو رحمة، ٢٠١٠، صفحة ١٣) (Abu Rahma, 2010, p. 13) ، فالمصطلح إذن خاص بالرواية غير أن (عبد الستار ناصر) وظفه في القصّة القصيرة فصار (قصة داخل القصة) أو (قصة ما وراء القصّة) وتلك ظاهرة غير

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

مألوفة في القصّة القصيرة عموماً وللكاتب الريادة في ذلك، فضلاً عن أنّ عنوان القصة ومضمونها (الأفعى والدرويش) أضفيا عليها مسحة من التوتر والتشويق والإدهاش والكشف عن ظواهر سلبية تتلبس القناع الديني أو الزهدي في العمل الإبداعي أو الثقافي.

تميز القاص عبد الستار ناصر بقدرته على التمرد واختراق السائد، وتوظيف الاحتجاج والتمرد والتصدّي للتابوات، إذ "سعى إلى التجديد في قصصه والتمرد على منظومة الأخلاق، كما نجد غياب البطل الوعظي في قصصه، إذ شرعن لمثل هذه القصص، وكان أبطاله ذوي نزعة بوهيمية، ومتجردين من الانتماء، وليس لهم علاقة بالعقيدة والدين والأخلاق" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ١٩) (Hussein, 2022, p. 19) ، وأغلب قصصه تتصدّى لمنظومة القيم الأخلاقية والدينية بل التصدّي للمقدّس الديني في علاقته مع الواقع، وأبطاله يثيرون نوعاً من الحراك بوصفهم يمثلون أنموذجاً للاّمنتمي، وتمثّل قصته (الكوّاش) أنموذجاً لقصصه التي تصدّت لمنظومة القيم المقدّسة، ورصد فاعلية هذه القيم في الواقع الحياتي بوصفها إحدى مهيمنات الموروث الشعبي المتداول، وتزخر القصّة بالإشارات الدينية والقيم المقدّسة التي امتزجت بعضها ببعض وشكّلت موروثاً قيمياً مؤطّراً بالقداسة الدينية إذ وظفت الإشارة إلى بعض الآيات القرآنية والمقولات القيمية الدينية والأخلاقية والوعظية.

وعلى الرغم من أنّ مفردة (الكواش) التي هي عنوان القصة ترمز إلى الاستبداد والهيمنة والأنانية فإنّها تتوغل عميقاً في موضوعة القيم المتضادة، فهناك الجدل القائم بين التسلط وحتمية انهياره، وتلاشي الملك مهما كبر وعظم وهي قيمة وعظية تشير إلى أنّ (الملك بيد الله) ولا بقاء إلاّ له، فكثير من الآيات والأحاديث ترّسخ فكرة الزوال وانعدام دوام الحال، وإنّ مصير البشر مرهون بالسماء ولكلّ مُلْك بدالية ونهاية والرجعى إلى الذات الإلهية التي هي مصدر القيم الدينية، والله ﷻ هو الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء والسكوت على المستبد يعدّ نوعاً من طلب السلامة أو الاستخذاء، وقد استعمل القاص قصة الكوّاش بقوله: "أما بعد... فهو يدري طبعاً أن السلامة في السكوت، وإنّ البقاء لله وحده، هاهو السيد اللامي يحمل رأسه بين يديه ويمشي" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ٩٣) (Hussein, 2022, p. 93) ، ففي هذا المستهل نلحظ قيمة دينية ترتبط بفكرة البقاء لله وحده وكلّ ما عداه زائل، وإن هيمنة (الكّواش) وكل ظالم سيكون مصيرها التلاشي فضلاً عن أن سيميائية الاسم (السيد اللامي) تحمل قيمة دينية وأخلاقية مقدّسة، ويمثّل اللامي أنموذجاً للمواطن المسالم المقموع وهو يذرع شوارع وأزقة بغداد بحثاً عن ملاذ آمن أو مكان يجد فيه ال وهو كما يبدو رجل متصوف زاهد، إذ يستعرض تماثيل (الكواش) التي تملأ كلّ مكان. يقول الراوي "ينبغي على السيد الكواش أن يعلم بهذه القصة، سوف يقسم بالله العظيم ألف مرّة أنه ما عرف القراءة ولا الكتابة مطلقاً" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ٩٧) (Hussein, 2022, p. 97).

وفي مكان آخر يقول "أن أمير كربلاء قد أخبره أن لا إله إلاّ الله، بينما اقترب الأمير الثابت ليقول (إنّ الصبر مفتاح الفرج...) يا ناس، سامحه الله" (حسين، ٢٠٢٢، الصفحات ٩٨-٩٩) (Hussein, 2022, pp. 98-99).

وفيما أثبتنا من نصوص يتبين أن المقدس الديني حاضرٌ عبر القيمة الكبيرة للقسم بالله العظيم، وتردد (لا إله إلاّ الله) المقدّسة في الدين وتتكرر كل يوم على المآذن فهي عبارة مقدّسة دينياً بل لا يكون الإنسان مسلماً إلاّ بترديدها لأنها القوة القيمية الدينية التي تدلّ على الإيمان.

وهنا نلحظ القاص يقلب المعادلة في صناعة وإنتاج القيم ذات التأطير القدّسي فقد رحّل هالة التبجيل إلى المواطن المنكسر ومنحه قيمة (السيد) ومنح المستبد الأوحد (الصنم السلطوي) صفة (الكواش) وهي مفردة عامية تعني المستحوذ على كلّ شيء الذي (يكوّش) على ما تطاله قدرته، وكلا المسارين التبجيل والإستحواذ انتجا قيماً بخط متواز، وعكسا الصراع القائم بين الإنسان العادي المسالم وبين المنتفع من توظيف القيم الدينية لأغراض مصلحية، وتشير القصة إلى هالة المقدّس الذي ينبغي أن يقترن بهذا المواطن الصالح الزاهد والمثالي وليس برداء الحاكم الجائر وبذلك ارتبط المقدّس الديني بالتبجيل وبإنتاج القيم الرفيعة.

ويمكن الاستدلال على وجود هالة المقدّس طقساً وقيماً في قصة (امرأة من مطر) للقاص نفسه، التي تجسّد قصة عشق متعالٍ بين (عبد الله) و (سلوى) وفي ميناء أو مدينة (كونتانسا) على البحر الأسود، وما يحدث بينهما من إلهام روحي وتوادد وجداني، وما يشدهما إلى المكان والمطر وبما يعكس هالة التقديس بين طرفي المعادلة العمودية، ولعلّ سيميائية اسم الشخصية المحورية (عبد الله) الدالّة على القيمة الدينية للعبودية لله، وذكر طقس الصلاة كقيمة مقدسة فضلاً عن التأمّل والدعاء وكلّها اشارات سيميائية ترّحل الفكرة من بعدها الإنساني إلى بعدها الديني والروحي، حتّى يصل المعنى إلى نوع من التقديس القيمي الذي يعكس نوعاً من التماهي بين القيم الإنسانية وقيم التقديس المرتكزة التطهير بمعناه القيمي، بوصفه قوّة قيمية وجدانية متعالية، ثم جاءت دالّة المطر لتوكيد هذه الفكرة والإشارة إليها، ومما عمّق هذا المعنى لجوء البطل (عبد الله) إلى كثير من الإشارات الدينية لاسيما شخصية المؤذن كدال ديني، فيقول: "عند الخامسة والنصف فجراً راح مؤذّن أعجمي يذكرّنا بالصلاة، تمنيت وأنا بعيد عن عاداتي وخصالي اليومية وبعيد عن رقابة من يعرفني تمنيت أن أصلّي، صحوت فعلاً ومضيت أغسل وجهي ويديّ، أتهيأ للصلاة كنت أخاف أن تراني سلوى، من يدري ماذا ستقول عني؟! لكنّني ما إن ذكرت الله قياماً حتى رأيت سلوى تبعث السلام إلى الملائكة فوق كتفيها يميناً وشمالاً، قلت لها وأنا أحرق بعض أعصابي سرّاً: - هذا شيء لا أعرفه عنك سلوى، منذ متى تصلّين، وأنا لا أرى ولا أسمع؟! قالت لي وهي تمسح رأسها بيد مقدّسة باردة: - إنها أوّل مرّة يا عبد الله" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ١١٧) (Hussein, 2022, p. 117) ، نلحظ في النص القصصي السابق ذكر الطقوس الدينية الراسخة في ضمير المؤمن المسلم كالصلاة والوضوء، والآذان، وذكر الله والتوجه إلى الصلاة فجراً، وذكر السلام على الملائكة وهي كائنات دينية ذات بعد قيمي وقيم وجدانية وروحية ذات توجهات مقدّسة ترتبط بالطقس الديني (الصلاة، التسليم) ومن قبلها (الآذان، الوضوء).

يتجلى في هذه القصّة المؤطرّة بجدل الواقعي والرمزي نوع من التلازم بين المقدّس الديني والمقدّس الإنساني (القيمي) فالقيم الدينية والإنسانية تلتقي في هالة (التقديس) بمعنى أنها تلتقي في نقطة (النقاء) "وإن فائض المعنى الذي يمنحه نور المقدّس هو فائض للرؤيا في الوقت نفسه" (العياري، تنوير المقدّس ، مقاربات في كلام الله، ٢٠٢٢، صفحة ١٠) (Al-Ayari, Enlightenment of the Sacred, Approaches to the Word of God, 2022, p. 10) ، ولم تأتِ الطقوس المقدّسة والقيم التي أفرزتها في هذه القصّة من شخصية (دينية) بل جاءت ضمن التوجّه الإنساني وصفاء الوجدان مما يجعل الذات تمثل تلك القيم الرفيعة، فالحوار الوارد في النص تهيمن عليه الطقوس والقيم الدينية بعيداً عن الواقع المحيط إذ هما أعني (الشخصيّة عبد الله وسلوى) في بلد غربي ليست فيه تلك الطقوس والقيم اجتماعياً لكنّ الإنسان متأثّر بها يحملها معه أينما حلّ على الرغم من عدم تدينه، "فاضفاء الطابع الدنيوي

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

على قيمة دينية، يشكّل ببساطة ظاهرة دينية توّضح في نهاية المطاف قانون التحوّل العام للقيم الإنسانية ، والطابع الدنيوي سلوك كان من قبل المقدّس لا يفترض حلاً للاستمراريّة، فالدنيوي ليس إلاّ تجلياً جديداً لنفس البنية المشكّلة للإنسان والتي تجلّت في تعابير مقدّسة، وقد توجد إمكانية تطور تؤّدي إلى رفض التعارض بين المقدّس والدنيوي كخاصيّة مميزة للأديان" (إلياد، ٢٠١٨، صفحة ٩) (Eliad, 2018, p. 9).

فالحب بين عبد الله وسلوى في القصّة قيمة ذات تقديس لهما تمثّل المشترك بين ما هو دنيوي ومقدّس، ومن القيم المعبرّة عن هذه الفكرة ما نجده في الموروث الثقافي الإسلامي باعتبار العشاق نوعاً من شهداء الحب.

ويمكن الاستدلال على اشارات كثيرة للقيم الدينية والقيم ذات التأطير الإنساني المقدّس كالحب والصداقة والوفاء والاخلاص في قصة (حارس مكتب الإنسان) للقاص عبد الستار ناصر وفيها ما يحيل إلى مفردات دينية (قرآنية) وقيمة نابعة من التراث الديني كما في المقطع الآتي: "الوسواس الخنّاس مرّ في تلك الطرقات وراح يضرب الصدور على هواه... عادة قبل آذان العشاء الوقت الذي تتحرك فيه، أيضاً، تفاحة آدم، يبحث عن ضحية سوف تنزلق إلى حضيض الأرض، هذه المرّة لم يكن من أحد يعينه مكتب الإنسان" (حسين، ٢٠٢٢، صفحة ١٤٧) (Hussein, 2022, p. 147) ، ومكتب الإنسان هو مكان يلتقي به الأدباء إبان التسعينيات، وسمّي بذلك كإشارة قيمية تدلّ على وجود نوع من العلاقات المتسامية التي تغيب فيها (الأنا) ويصبح التواشج والتضامن كقيمة مقدّسة، فالوسواس الخناس من التعابير الدينية التي أثبتها القرآن الكريم، فهي من المقدس الدين التي يرددها الناس إبعاداً للشر، وهناك مقدس زمني آخر هو (أذان العشاء) الذي يؤشر وقت إقامة الصلاة التي تُعد القيمة الدينية المقدسة عند المسلمين.

ونقف الآن عند نماذج أخرى تضمّنت تشابكاً مع المقدّس في القصّة القصيرة العراقية على وفق تنويعات ومعالجات مختلفة، وقد انطوت كثير من نصوص القاص (جمعة اللامي) على مثل هذه التوّجهات ومنها قصته الموسومة بـ(تحولات سلمان المحمّدي) التي كشفت عن نزعة تجريبية للتعبير عن القيم والطقوس التي تربط بين سيرة شخصيّتين على الرغم من التباعد التاريخي بينهما، وهما شخصيّة (سلمان المحمّدي) وشخصية السجين المعاصر، وبحثهما عن قيمة الحرّية بوصفها قيمة تتأطر بهالة التقديس والبحث أيضاً عن الكينونة وقيمة الاختيار، وتمثلت بتحرّر السجين من القضبان والإذلال، وتحرّر سلمان المحمّدي من موروثه القديم باتّجاه الدين الجديد، ولعلّ استثمار اسم (سلمان المحمّدي) الذي أطلقه الرسول (6) عليه باعتباره يمثّل مقدّساً دينياً حينما ألحقه النبي (6) بآل البيت (:)، مع أن سلفه الحقيقي هو (سلمان الفارسي) إذ أصبح التعامل معه بالاسم واللقب (المحمّدي) من القيم المقدّسة لدى المسلمين، وقد وصلت القصة إلى ذروة التطابق والتماهي بين الشخصيّتين، "كان سلمان المحمّدي في السيارة الثالثة، في المقعد السابع عشر يناقش بهدوء وثقة، لقد كتبت اسمي على جدران المعتقلات والسجون في الحبّانية والرمادي وبغداد ونقرة السلمان، والحلّة والديوانية والسماوة وبعقوبة وفي كلّ السجون العسكرية" (الغزّي، ٢٠٢٢، صفحة ١٨٦) (Al-Ghazi, 2022, p. 186) ، ولعلّ القيم ذات التأطير القداسي تتجلّى في دالّة الحرّية والإنعتاق، والعثور على الذات، فكأنّ سلمان المحمّدي كان يعاني من ربقة السجن (سجن الماضي، والجهل) وقد تحرّر منه مثلما تحرّر السجين السياسي إبان حقبة النظام الاستبدادي وتخلّص من القمع والتغييب القسري، وفي القصة قيمة دينية لشخصية (المحمّدي) نسبة إلى الرسول (6) وتعميق لقيمة الحرّية والاختيار والإمساك بكينونة إنسانية متقدّمة، واسم الشخصية ذو دلالة سيميائية رمزية لخلود المقدّس عبر امتداده للزمن الحاضر، فهو لم يمت ما دام اسمه يتكرر على الأزمان .

وتجسّد قصّة (المواطن ع التَسْتري) سيرة العرفاني الذي تحمل القصّة اسمه والطقوس والقيم التي كان يجاهد في سبيلها بحثاً عن الحقيقة والوصول الى نوع من السطوع الداخلي، وإنّ عرفانية (التَسْتري) لا تبتعد عن القيم والطقوس المقدّسة لاسيما الدينية، يقول الراوي "كانت باحة المسجد فارغة – في الوقت المحدّد لصلاة الظهر- إلاّ منه، وهذا الشيخ الذي يلفّ رأسه بقماشة بيضاء، هو إمام المسجد، قال التَسْتري في ذاته:

- قم توضأ، وتعال نصلّي معاً...
- لا أعرف...
- إذن ماذا تعرف؟ أخذ الشيخ يرسل إليه عينين متسائلين:
- أنت؟... أمعقول أنت لا تعرف الصلاة؟
- نعم...
- وقلبك
- اتبع نداءه
- أنت تعرف الطريق إلى الحق...
- الحقّ؟
- نعم أفي ذلك ضير؟!
- لست أدري... – أنت غريب، وألحّ الشيخ
- الغرباء دائماً أصدقاء الحقّ..
- لأنّهم يعرفون الأسرار" (الغزّي، ٢٠٢٢، الصفحات ٢٤١-٢٤٢) (Al-Ghazi, 2022, p. 241-242).

نستدل في المقطع السردي على وجود الطقوس والقيم الدينية التي يتبناها المتصوف (التَسْتري)، ويؤمن بها ويدعو إليها، فالصلاة أعلى قيمة دينية مقدّسة، يؤمن بها المسلم المؤمن كونها مصدر النقاء والإلتزام إن كانت صادقة بلا مراءاة وادّعاءات فهي تنهي عن كلّ الشرور النفسية والاجتماعية والفحشاء والمنكر، فدخول (التَسْتري) ولجوئه إلى المسجد – وهو مكان مقدّس- وأداء الصلاة، وتلك الحوارية التي تكشف أسرار وطقوس الإيمان الديني والعرفاني المؤطّر بالمقدّس، وإنّ أداء الصلاة وطقوس التسليم تمنحه الصفاء الروحي والتجدد، وذكر الوضوء وهو طقس ديني مقدّس يسبق الصلاة حاضر في النص بل حواره مع الشيخ يحيل إلى عدم قناعته بالعمامة التي يلفها الشيخ على رأسه إذ تنقلب

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

الأمور فنرى (التَسْتري) هو الذي يدعو الشيخ إلى الصلاة والتوضؤ لأن المسجد لا يكون لغير ذلك، "والحوارية عموماً تمثّل المفاهيم والمضامين التي تحرّك الشخصيّة، وتوّجه تفكيرها باتّجاه محدد" (جبارة، ٢٠١٢، صفحة ١١٨) (Jabbara, 2012, p. 118) ، والقصة في مجملها تأكيد للمقدّس الديني عبر القيم والطقوس ذات البُعد الإيماني.

ونلحظ في قصّة (السيد أشواق سلم بن يوسف) شخصيّة تحمل القيم المقدّسة وتجليات العرفان التي ينطق بها وهو يذكر المقدّسات الدينية أمام حشد الفقراء والمهمّشين وهو يقول.. متحدّثاً برمزية عن (الله) أو الذات الإلهية الذي يُعدّ المقدّس الأوّل: "يا أهل اليشن (الويل لي من بُعدي عنهُ، والويل لي من قربي منه)... داخل المسجد، عند المحراب، كان سلم بن يوسف يقف مبهوتاً، ينظر إلى جمهرة الشحاذين والباعة المتجوّلين والحرفيين والمتعطّلين بعينين غائبتين، ويعرض عليهم جسداً محطّماً تماماً (هل تلك آثار سياط عذاب...؟) ثم تداعى الى الارض وهو يردّد الويل من نفسي، فتفرق الجمهور لأنهم عرفوا ما حلّ بإمام مسجدهم" (الغزّي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٣) (Al-Ghazi, 2022, p. 203)، ويمزج (سلم بن يوسف) بين تجلياته وأسراره ومواعظه وبين أدائها في طقوس اللقاء وصلاة الجمعة وبما يمثّل الاقتران بين الطقوس الدينية والقيم العليا التي يؤمن بها، في المقطع السابق ذكر للمحراب وهو مكان مقدّس لأداء الصلاة، "كان المجتمعون حوله من مِلَلٍ ونِحَل مختلفة، فلاحون، شحّاذون، حرفيون، وأطفال متّسخون أيضاً، يعرفون أنّه يبدأ الحديث كما عوّدهم بنفسه وتعوّدوا عليه في كلّ يوم جمعة بعد الصلاة بزمن قصير، يوم الجمعة عند سلم بن يوسف موعد اللّقاء... ففي مثل هذا اليوم من كلّ أسبوع لنفسه: قد ألقاه اليوم" (الغزّي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٦) (Al-Ghazi, 2022, p. 206)، والمقطع السردي يعكس تمثّلات الطقس الديني باختيار يوم الجمعة الذي فيه (صلاة الجمعة) وهي طقس ذو قيمة مقدّسة، وبعد الصلاة كفضاء للقاء سلم بن يوسف مع الناس والتحاور معهم ووعظهم بما يجب عليهم من قيم دينية ويعكس هذا الطقس ارتباطه بالقيم المقدّسة وبالفضاء الذي يشهد قيم التواصل مع الناس من خلال طقسية المكان والزمان، "وخصوصية الطقس تبقى على علاقة بأشكال الفرحة – سيرورة وبنية – ومع أنه لا يقبل التطور لأسباب دينية ويبقى منغلقاً على ذاته، إلاّ أنه يمكن أن يأخذ طابع العادة جزئياً بسبب اهتمام بعض الناس من خارج الجماعة المشاركة" (علاّم، ٢٠٢٣، صفحة ٢٥)(Allam, 2023, p. 25) ، وينتهي النص برغبته في لقاء الله، ولا يغيب عن المتلقي الروح الإيمانية في مجمل القصة وتردّد القيم الدينية والطقوس المقدسة متمثلةً بالقيمة الأسمى التي هي الصلاة.

القيم المقدّسة في القصص العراقية :

ويمكن الاستدلال على وجود القيم المقدّسة وارتباطها بمعطيات الواقع الاجتماعي عبر معاناة الشخصيّة في قصّة (المئذنة) لمحمّد خضير وضياعها الأسري بسبب فقدان الزوج ومحاولة التشبث بابنتها (حسنة) وذلك من خلال المقاطع السردية موضع الاستدلال والمعاينة وقبلها يمكن الاستدلال على أهمية وتأثير القيم المقدّسة عبر العنوان (المئذنة) وما تحمله من دلالة دينية وقيمة مقدّسة فهي لا تكون إلاّ للأذان وذكر الله وأوقات الصلاة وكلّها قيم مقدّسة لا حياد عنها لدى المؤمن "ووسط السطوح، في انحراف قليل عن الغريب انتصبت مئذنة عالية، تركت الشمس الواهنة على زخارفها المقشطّة الأثرية دفعاً من انتشارها البرتقالي... كان عشّ اللقلق مهدّماً وقد سقط جانب منه على رأس المئذنة... كان اللقلق معتاداً على صوت الأذان" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٢٦) (Khader, The Black Kingdom, no date, p. 26) ، فالمئذنة للدعوة إلى الصلاة وهي مقدّس ديني وتحتها في المسجد تقام طقوس الوضوء واجتماع الناس من أجل تأدية الصلاة وممارستها جمعاً أو انفراداً وفي كل ذلك ذكر الله المقدّس الأوّل في الدين لدى المسلمين وغيرهم، ونلحظ معادلاً فنيّاً بين تمزّق البيت الأسري أو العلاقة الأسريّة وبين تهدّم وخراب عش اللقلق الذي كان يسكن في أعالي المئذنة ويطير ويعود إلى ملجئه مع أذان الغروب وتلك إشارة إلى القيم والمعاني التي تبعث على الأمان والتقديس لاسيما أنّ العش يقع فوق المئذنة كعلامة سيميائية رمزية على الهالة أو القيمة المقدّسة لأنّ المئذنة والمسجد موطن أمان للإنسان فيهما يتردد الدعاء لله كطقس يومي مقدّس، وتمثّل خاتمة القصّة محاولة للعودة إلى البيت: "عبر السلالم الثلاثة، كان أذان الغروب المنطلق من المئذنة، يتابعها كصوت الرّب، وهي تسرع" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٢٦)(Khader, The Black Kingdom, no date, p. 26) ، فأذان الغروب وهو زمن مقدّس، ووجود المئذنة يجسّدان مشهداً طقسياً يبعث على الأمل والاحساس بالأمان، ومحاولة لرأب الصدع والتخلّص من القلق والتأزّم والتمرّق أليس الايمان والدعاء اطمئناناً روحياً وطقساً دينياً يجعل الإنسان في نقاء وطهر يملأ الداخل؟ وقد حفلت القصّة بالتحليل السايكولوجي الباطني لشخصية المرأة، وهو تعبير عن انشدادها إلى الطقوس وقداسة الرموز والعلامات الدينية (الأذان، المئذنة، وقت الغروب، ذكر الله، الصلاة... الخ) ولعلّ لجوء الناس إلى وقت الغروب والاستغفار فيه يمثّل طقساً موروثاً كما نعرف ومجمل دعاء الأمهات إلى الله يكون وقت الغروب، وهو زمن مقدّس دينياً واجتماعياً.

تواجهنا قصة بعنوان (كفى بالأجل حارساً) للقاص جواد عبد الكاظم وهي توظّف في عنوانها مقولة فيها تقديس ديني منسوبة للإمام علي (عليه السلام) وتلك المقولة تمجّد الأجل بالحياة بعيداً عن اليأس والخوف من الموت لأنّ المكتوب مقرر من الله (عزّ وجلّ) فلا يصيب الإنسان مكروه أو اقتراب الموت إلاّ عندما يقترب من يوم أجله المحتّم المكتوب في اللوح المحفوظ عند الله فلا يكون موت إلاّ عند ذلك فقط وهذا ما نلحظه في قول رأس العرفاء "مرّة ثانية شكرت الله تعالى على لطفه بيّ وحفظه لي، فلولا رحمته الحفية لكنت من هؤلاء الموتى في أسفل الوادي... وختم حسن قصّته بالقول: بعد عودتي من الإجازة شكرت رئيس العرفاء على عقوبته لي بتأخير تسليمي نموذج الإجازة... قلت لحسن وقد هزّني ما سمعت منه...

- أتدري يا حسن بماذا تذكرّني قصّتك
- قال بماذا؟
- قلت: تذكّرني بكلمة بليغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، يقول فيها: كفى بالأجل حارساً!!" (محسن، ٢٠١٩، صفحة ٤٧) (Mohsen, 2019, p. 47).

المقولة والقائل مقدّسان لدى فئة كبيرة من المسلمين وهي مقولة للإنسانية وليست لأحد محدد، ووجودها في العنوان وفي ختام القصة تناص مع المقولة التي قالها الإمام علي (عليه السلام) وتوجيه إلى أن المكتوب لكل إنسان حين لا يأتي في غير وقته عليه أن لا يخاف الموت، والصياغة الفنية للمقولة ليست مباشرة إنما هي صورة استعارية تشخيصية يتحوّل فيها الأجل وهو غير عاقل إلى حارس!! وحارس لمن؟ أنه

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

يحرس الإنسان في كل زمان ومكان فلا يموت في غير يومه أبداً ولهذا قد يتعرّض الإنسان إلى مخاطر جمّة لا يصدّق أنه خرج منها وذلك لأنها جاءت في غير يومه المكتوب وعليه فالأجل أشبه بحارس يقي الإنسان أي ظروف أو مخاطر تحيط به تأتي في غير وقت أجله.

المقدّس ومظاهر الطبيعة :

ولعلّ ظاهرة البحث عن المقدّس بكلّ أشكاله ودلالاته حتى في مظاهر الطبيعة هو جزء من نزعة بشرية مثلما لمسنا ذلك في قصّة (المئذنة) آنفة الذكر، ويتجلّى المقدّس الديني في قصة (الشفيع) لمحمّد خضير، "ولذلك يبقى البحث عن المقدّس شيء أساسي بالنسبة للإنسان، إذ يبدو أن الإنسان لا يمكن له أن يوجه عالماً من الصيرورة الكاملة والحياد التام، لا مركز له، ولا معنى ولا أسرار فيه، وإذن فهو دائم البحث عن مركز ومعنى يحاول أن يستعيد القداسة لعالمه" (القدميري، ٢٠٢١، صفحة ٥٩٥) (Al-Qudamiri, 2021, p. 595) ، وتتجسد في قصّة (الشفيع) تفاصيل طقوس العزاء الحسينية وما يعرف بـ(التشابيه) وتجسيد قصّة استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) وآل بيته وأصحابه في أرض كربلاء وهي طقوس ذات جذر ديني تقديسي لمأساة الإمام الحسين ابن بنت رسول الله، وتؤكد الظلم الحائق بإمام مقدّس دينياً وإعادتها على شكل طقوس تتضمن الحزن والبكاء على الإمام.

يتجلّى المقدس الديني في القصّة عبر تشبث المرأة الحامل التي تتأمل من الإمام الحسين (عليه السلام) أن يكون شفيعها في تيسير مخاضها، فتذهب إلى طقوس احياء ذكرى عاشوراء أو الطف والنظر إلى مأساة آل البيت وهم يدفعون الظلم دماً وشهادة، وتقف المرأة الحبلى وسط هذا المشهد الطقسي وهي تعاني آلام المخاض ولا تجد وسيلة سوى التشبث بالشفيع المقدّس دينياً، وهي تنتقل من مكان إلى آخر ومن مشهد لغيره متماهية مع هذه التفاصيل ذات الهالة المقدّسة، وتتابع المواكب والمعزّين والمشتركين في الكرنفال الطقسي الديني، وسنجتزئ بعض المقاطع السردية الدالّة والمعبرّة عن قيم العزاء الحسيني وطقوسه، وموروثاته الحزينة.

يرتكز استلهام القيم والطقوس الدينية في هذه القصّة بدءاً من سيميائية العنوان ودلالاته بوصفها نصّاً موازياً ومعبرّاً عن مضمون القصّة فضلاً عن معطيات الإستهلال بوصفه الإضاءة الأولى، وتتمركز فكرة القصّة على طقوس (الشفاعة) والعزاء وتقديس القيم التي عبرّت عنها واقعة كربلاء، وتحوّلت إلى طقس خالد يعبّر عن القيم التي نادى بها الإمام الحسين (عليه السلام) وضحّى من أجلها، والمرأة الحامل أو التي تعاني من آلام المخاض تتّخذ من شخصيّة الإمام ومعطيات مظاهر التعزية مساحة للشفاعة على الرغم من معاناتها الجسدية والروحية بسبب الخوف من المخاض، "رؤوس عديدة، آلاف الرؤوس لنساء وأطفال تطلّ إلى الأسفل من الشرفات والسطوح العالية، تشهد مرور مواكب العزاء... محفوفة بجموع المشاهدين على حافات الأرصفة المسقوفة من الجانبين، وكانت الرايات الحمر والخضر والسود المثبتة على الشرفات بصورة مائلة إلى الأسفل، مع الصور العديدة التي تمثّل يوم عاشوراء" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٥٣) (Khader, The Black Kingdom, no date, p. 53) ، ويتعمّق ارتباط المرأة الحامل ومظاهر هذه الطقوس الدينية المليئة بالحماس والتأمّل والتفاعل في مشهد جمعي يندمج فيه البشر مع الطقوس والقيم بوجدان متوهج، ونلحظ في القصّة نوعاً من وصف المكان وتأثيثه وحركة الأشخاص بأسلوب موحٍ يثير المتلقي.

وتتحول الطقوس إلى ظاهرة (اجتماعية) ودينية تمثّل أحد تجلّيات العقل الجمعي المتماهي مع فكرة التقديس ويعكس "حالة انفعالية على المستوى الحسّي فيها التصاق بالحدث وتتطلب استثماراً عاطفياً من قبل المؤدّي والمشارك يصل إلى حدّ الذوبان والتماهي مع الشيء، من هنا يكون الجو العام الذي يخلقه الطقس انفعالياً فيه كثير من التوتر ويتطلب التزاماً من المؤدي" (علاّم، ٢٠٢٣، صفحة ٢٥) (Allam, 2023, p. 25)، ويسلط القاص الضوء بفنية عالية الجمال والحزن وهو يصف زيارة الجموع لحضرة الإمام الحسين (عليه السلام) وهي ترفع أذرعها بالدعاء إذ يقول: "حين تؤمئ الأذرع، الإيمان الغامض، بزغت النجمة الأولى، النجمة الحزينة البعيدة في زرقة السماء البنفسجية الداكنة، وكأنها (دمعة الحسين) التي سالت وتشربتها الرمال الملتهبة، ثمّ تبخرّت وتناسخت إلى نجمة يزداد تألّقها في أيام عاشوراء وفي أيام (زيارة الأربعين) منذ مئات السنين" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٦٠)(Khader, The Black Kingdom, no date, p. 60) ، وفي مقطع آخر يقف (محمد خضير) عند اللحظات النقية للنفس الإنسانية وهي تتضرع للشفيع الإمام الحسين (عليه السلام) والجموع يحيطون بالضريح المقدّس وكل واحد فيهم يصيح: "يا شفيعي.. يا غريب كربلاء، أهو أنين الجثث المدفونة في ثرى كربلاء، محتفظة بحدّة الرمق الأخير، وبلحظة الاقتراب من الموت التي بقيت ثابتة من دون انتهاء منذ ألف وبعض من السنين بانتظار القيام الأخير" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٦١)(Khader, The Black Kingdom, no date, p. 61) ، وبذلك فإن قصّة (الشفيع) تمثّل أنموذجاً جليّاً لقدسية تفاصيل الزيارة والقيمة المقدّسة للضريح الذي هو مكان طاهر تخشع فيه الأرواح ويسمو فيه الإيمان بقدر الطُهر الذي اكتنف الإمام الحسين (عليه السلام) استطاعت القصّة أن تسبر غور وتفاصيل الطقوس الحسينية والقيم المعبرّة عنها.

تبقى المرأة الحامل محوراً تدور حولها القصّة لبيان علاقة الإنسان بالمقدّس الديني وهي على الرغم من حملها دخلت صحن الضريح ودلفت إلى الداخل مع أن علامات المخاض بدأت عليها لكنّها لم تأبه أبداً فلديها الطواف حول الضريح هو الولادة الحقيقية لها وفي رمزية المخاض نلحظ أنّ زيارة الأربعين هي ولادة وتجدد لمأساة الحسين (عليه السلام) وأهل بيته: "طافت الحبلى حول بناء الضريح، وفي الممرّات المتروكة بين الرؤوس السائرة والجالسة والنائمة... وفي كل دورة من دورات طوافها كانت تشاهد الزوّار يدخلون الضريح من جهاته الأربع، دقّت ساعة برج الصحن ثماني أو تسع دقات وتوقفت الحبلى إثر رنين الدقّة الأخيرة أمام أحد أبواب الضريح... وأمام شرفة الضريح رفعت يديها: يا شفيعي آه.. يا شفيعي... يا مولاي إدركني يا شفيعي... ليس الآن يا مولاي.. وكانت قد طافت مرّات عديدة حول المرقد المقدّس" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، الصفحات ٦٨-٦٩)(Khader, The Black Kingdom, no date, p. 68-69) ، وأخيراً تضع الحامل وليدها على بلاط الضريح، إنه الولادة الجديدة لتخليد الإمام الحسين (عليه السلام)، ولعلّ الإشارة إلى الزمن عبر دقات الساعة ما يوحي بأن الضريح يحتوي الزائرين في كل وقت لأنه ملاذهم الآمن.

الإشارات الدينية وسيمياء الأسماء:

ونلحظ في قصة (المملكة السوداء) لمحمّد خضير أنّ هناك إشارات دينية تتضمن بعض الطقوس والقيم والدلالات التي يعززها اسم بطل القصّة (علي) وهو يتوجه إلى بيت عمّته العتيق المسكون بالأسرار، ونعثر في المقطع القصصي الآتي ما يشير إلى بعض القيم المقدّسة ذات الهالة الإيمانيّة: "في الأعلى بامتداد ضلّعي الصندوق القصيرين المتقابلين يمتدّ حوضان مستطيلان ضيّقان، يحتوي الحوض الأيمن على

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

مسبحتين سوداوين صغيرتي الخرز وورقة مطوية بأحكام أشبه بالتميمة" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٧٩) (Khader, The Black Kingdom, no date, p. 79) ، فمن الموروث القيمي الاعتقاد بالمسبحة وما تحمله من قيمة ومعنى لاسيما وهي تتميز باللون الأسود، وشعبياً يسمونها (دم الحسين)، وكذلك وجود التميمة (التعويذة) وهي من المعتقدات الدينية المقدّسة بل علامة تحيل لمعنى وقيمة تقديسية لكون التميمة تحتوي على آيات قرآنية عموماً، والقصّة في مجملها تتميز بقوّة الإيحاء والرمزية الدينية التي تحمل قيم البطولة والتصدّي المرتبطة بمعركة (خيبر) وما تنطوي عليه من صراع بين القيم المتضادة، ولعلّ استدعاء الحادثة التاريخية وجرّها إلى الواقع قضية فنيّة مؤثرّة لاسيما (خيبر) رمز لليهود وعنصريتهم وماديتهم على مرّ التاريخ.

إنَّ أجواء البيت بما فيها من طغيان اللون الأسود ووجود الخطوط القديمة والإشارات التي تشبه الأسرار والصناديق السود والمسبحة والتميمة و (باب خيبر) كلّها توحي بقيمة المعنى المقدّس، الذي يتّسم بالأسرار والغموض والتمركز حول الطاقة الروحية، وإن ملامح الباب الذي تحدّث عنه الراوي يحيل إلى باب خيبر لاسيما أنّ بطل القصة اسمه (علي): "ذلك الباب الثقيل بالمسامير العريضة وزخارف المطرقة البرونزية، بالخشب المتصلب الأسود المنحوت الحواف لم يكن مرتجاً" (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٧٥) (Khader, The Black Kingdom, no date, p. 75) ، ثمّ يحاول الكاتب أن يجعل الباب يعيش زمنين زمن ما قبل تحرير الباب بيد (علي) وزمن بعد تحريره وفتحه إذ جعل ملامحه اسلامية يقول: "دخل (علي) من الباب القديم الذي حفرت في خشب إطاره تواريخ هجرية، وعبارات الشكر لله على فضله في بناء هذا البيت السامق.. قرأ (علي) عبارة: أيّها الداخل للحوش اقرأ السلام..." (خضير، المملكة السوداء، دون تاريخ، صفحة ٧٥)(Khader, The Black Kingdom, no date, p. 75) . فالنص يوحي بأمور ذات بعد مقدّس ديني منها عبارات الشكر لله وهي من المقدّس الديني وكتابة اسم (علي) ووضعه بين قوسين في كل القصّة يريد به تناصّاً مع شخصيّة الإمام علي (عليه السلام) فضلاً التاريخ الهجري.

ويمكن الاستدلال على وجود الطقوس الدينية والقيم المقدّسة بشكل ظاهر في قصّة (طقوس العائلة) للقاص موسى كريدي بدءاً من سيميائية العنوان واشاراته الدالّة عبر الحوار بين بطل القصّة وضيفه وهما يتطلعان إلى تفاصيل الطقوس المرتبطة والمعبرّة عن العزاء الحسيني، توالت المواكب وخفقت الأعلام والأصوات ما زالت في ذروة توتّرها، أمّا السيوف فما زالت مشرعة، كانا يسمعان ويعيان كلّ شيء، ويراقبان كلّ حركة، وكان ليل السيوف لا يهدأ، ولكن هل بوسعهما والحالة هذه أن يفلتا من قبضة السيوف وأن يدعا طقوس العائلة" (كريدي، ٢٠٢٢، صفحة ١٤٤) (Credit, 2022, p. 144).

والقصّة بمجملها تجسّد صورة من صور المغالاة في تمجيد المقدّس الديني وممارسة الطقوس الحسينية وإعادة حدث المأساة والظلم عبر الصراع بين الإمام الحسين (عليه السلام) ومعه أنصاره وبين المعسكر اليزيدي الذي يظهر العنف وسفك الدماء ومنع الماء في واقعة كربلاء التي تحوّلت إلى طقوس يجري استحضارها كلّ عام، "بعضهم في الأكفان البيضاء وآخرون من غير أكفان، يضربون فيجري الدم من خلال الثياب والمعاطف وفوق الاكتاف غير أنه يتخثّر فيلمح غامقاً، لكنّه يتجدّد في اليوم الثاني عبر الليل حيث يسيل أحمر مائلاً للسواد، ويسيل كالقيح من أعلى الرأس حتّى مهبط القدمين" (كريدي، ٢٠٢٢، صفحة ٩٨) (Credit, 2022, p. 98)، ووصف الطقوس الحسينية كما تبدو من النص فيها حرقة وألم وعنف وتضحية يتحوّل فيها المؤمن بالقضية إلى عاشق لا حدود لحبّه للحسين وآله، ففي القصّة "يتضح النسق المضمر من خلال الموارية التي تتخلل حوار بطل القصّة مع ضيفه الذي يرنو إلى تلك الطقوس... فيعمد موسى كريدي في هذه القصّة إلى تحويل الصراع بين القطبين الرئيسيين – وهما جوهر المعنى في ذلك الصراع – من تنافر الضدّين، معسكر الحسين (عليه السلام) وحشود الأمويين" (كريدي، ٢٠٢٢، الصفحات ٥٢-٥٣) (Credit, 2022, p. 52-53)، إذ تركّز القصّة على تجسيد القيم التي تعبّر عنها تفاصيل الصراع بين الحق والباطل، والظلم والتصدّي له، والتحدّي والخنوع.

ويتجلّى في قصّة (آخر العباسيين) لمحمّد خضير الطقوس الدينية والقيم المقدّسة في مستهلّ القصّة وهي قصّة مكتظة بأجواء وتداعيات دينية وتاريخيّة: "قبل دقائق من انطلاق أذان صلاة العشاء ، أقل الحوذي شيخه ليؤّم المصلين كعادته في ليلة كل جمعة وانزوى ينتظر خروجه بعد انفضاض الصلاة" (خضير، عيوان المشنوقين ، مختارات قصصية، ٢٠٢٣، صفحة ٣٥) (Khader, Aiwan Al-Mashnoukin, Selected Stories, 2023, p. 35) ، وفي هذا المقطع السردي من القصّة نلحظ طقوساً دينية مقدّسة كالصلاة والأذان دأب عليها الشيخ حين تهيأ للخروج كي يؤمّ المصلين لصلاة العشاء في ليلة كلّ جمعة، وينزوي الحوذي الذي ينقله بانتظار انتهاء الصلاة، فهناك طقس ديني مقدّس واجب عند الشيخ وهو مظهر ديني لأنّه من ذوي المقام الديني لدى الناس، هذا الواجب المقدّس هو إمامة المصلين كل ليلة جمعة عند صلاة العشاء، الناس تقف خلفه مؤدين هذا المقدّس الديني الإلهي لدى المسلمين، والمشهد كلّه يمثل طقساً مقدّساً يحرص كثير من الناس على أدائه وبتسليم تام، وهم يرددون خلف الشيخ مقاطع الصلاة والحركات المرتبطة بها.

لا تقتصر صلاة الجماعة على بعدها الطقسي في أدائها وزمانها المقدّس إنما على بعدها الديني التقديسي، فالشيخ يقدّم الوعظ بعدها ويوّجه تابعيه مستشهداً بآي القُرآنِ الكريم ويرّسخ المقدّس الديني في نفوسهم لأن إمام الجامع ذو مكانة دينية يستحق بها إمامة المصلين ولا يمكن لأي شخص أن يقوم بالإمامة واتباع المصلين له، فهناك سمات للإمام تؤهله أن يكون إمام الجماعة في أداء الصلاة وتوجيه الوعظ والإجابة على الأسئلة حول الفرائض والطقوس الدينية كالوضوء وسجدات السهو في الصلاة وغيرها، "فالمقدس الأعلى يشكّل أهمية في حياة الإنسان منذ نشأة الخليقة، إذ عدّ الأساس الأوَّل والوحيد في تحديد سلوكيات المجتمع، ولم تقتصر أعمال الدين على أركانه فقط بل خرجت إلى تصورات أخرى" (محمود، ٢٠١٨، صفحة ٣٣) (Mahmoud, 2018, p. 33).

ونلحظ في قصّة (مملكة الجد) للقاص عبد الرحمن الربيعي على طقوس وقيم مقدّسة تجسّد وقائع مرتبطة بثورة العشرين والوقوف في وجه المحتلّين الانكليز، ويبرز دور (الحاج سعيد) في التصدّي للمحتلين وتحريض الفلاحين على القتال، وصفة الحاج صفة دينية مقدّسة استثمرها الحاج لأغراض شخصيّة، وارتبطت بعض ممارساته وتوّجهاته بالقيم المقدّسة والموروثة لاسيما بركة وجود الخيل، والخيل قوّة لها ذكر في القُرآنِ، وأصبحت في القصّة أشبه بتعويذة ضدّ الشرّ، باعتبار أن الخيل ترمز للدفاع عن المقدّس والعقيدة والأوطان، وبذلك تصبح الخيل دالّة قيمية مرتبطة بالموروث الديني الذي يتخّذ منها رمزاً للجهاد ضد الغزاة، والقصّة عموماً ترتكز على توظيف القيم المقدّسة ودورها في الدفاع عن العقيدة والقيم الدينية والكرامة، "فالخيل في البيت بركة، إنَّها مثل التعويذة التي تطرد الشرّ، ولذلك ترون بعض الناس يضعون نعلها في أبواب بيوتهم" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ١٩٥) (Abdul Qader, 1977, p. 195).

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

الأهم في القصة توظيف طقوس العزاء الحسيني وقصة استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وجعلها قيماً مقدّسة وطقوساً يتم إدماجها بالواقع ومن ثمّ جعلها قيماً دينية محرّضة على مجابهة الظلم ورفض الجور والشرّ، وهذا التوظيف الفني لاستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) لكونه قيمة دينية مقدّسة يمثل الصراع بين القيم المتضادّة كالإيمان والكفر والعدل والظلم، ولذلك فإن الحاج سعيد يلجأ إلى الطقوس المعبرّة في أيام عاشوراء واستذكار الوقائع من أجل شحذ الهمم والإدعاء بأنّه حريص على تلك القيم المقدّسة "في أيام عاشوراء العشرة، كان الحاج سعيد يقيم مأتماً للحسين (عليه السلام) أمام داره، حيث يقطع الشارع ويفرشه بالسجاجيد، أما واجهة الدار فتكسى بالأقمشة السوداء، وقد كتب عليها عبارات الحزن المعروفة في مثل هذه المناسبة، وأبيات الشعر التي تكبر استشهاد هذا الثائر الكبير، وفي اليوم العاشر منها تملأ القدور السبعة الكبيرة التي يحتفظ بها لهذه المناسبة بـ(الهريس) وتنحر الذبائح... بعد ذلك يخرج أشياع الحاج سعيد في موكب حزين.. ويمضي الموكب بخشوع محاطاً بعويل النساء" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ١٩٦) (Abdul Qader, 1977, p. 196).

تضمّن المقطع السردي وصفاً دقيقاً لطقوس العزاء الحسيني وما يرافقه من إشاعة الحزن والبكاء، وهي مشهدية مقدّسة ونزعة طقسية لاستعادة وقائع الطف وموروثها القيمي، إذ تتحوّل الطقوس إلى ممارسة جماعية، يؤطرها الانفعال والحماس وحضور الحدث المأساوي وهو نوع من الاستحضار السايكلوجي والروحي للموروث المقدّس وقيمه التي لا تزول بل تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل "حالة آنية ثابتة المراحل تعتمد التكرار والاستحضار لعناصر بين الماضي، وتفترض التصديق من المشارك والمؤدّي وهو لا يرتكز على المتخيّل، ولا يقوم على الإيهام، وهو نشاط له مساره المحدّد وقواعده الصارمة وبشكل يمنع أي هامش من الحرّية" (علاّم، ٢٠٢٣، صفحة ٢٥) (Allam, 2023, p. 25)، وفي مثل هذه الشعائر والممارسات الموروثة يتجلّى اقتران الطقوس بالقيم المقدسة، وتصبح الطقوس عبارة عن قيم وأواليات مقدّسة، وإنّنا نتبين في هذا التحليل "أن القداسة نصّاً ورموزاً في دين الإسلام لا تكمن قيمتها في ذاتها الروحانية والمجرّدة، وإنّما قيمتها تكمن في صفتها المتحرّكة والمحسوسة لأن إعادة صياغة علاقة جديدة بالموروث تتطلّب تعاملاً نقدياً عقلانيّاً مع ذلك الموروث" (العياري، تنوير المقدّس ، مقاربات في كلام الله، ٢٠٢٢، صفحة ٢٥) (Al-Ayari, Enlightenment of the Sacred, Approaches to the Word of God, 2022, p. 25).

ونجد في قصّة (خوذة لرجل نصف ميّت) للقاص أحمد خلف توظيفاً لقيمة مقدّسة عبر التناص مع النص القرآني المعبّر عن قدرة ومعجزة السماء في دحر الشرّ واستهداف المارقين، والقصّة تدور حول وقائع وفجائع الحرب بوصفها رمزاً للموت والغياب والفقدان، وهي تجسّد أحداث حرب حزيران ١٩٦٧ والعدوان الصهيوني على العرب واحتلال الأراضي الفلسطينية والقدس، "العرب مقذوفون بالقنابل الحديثة، تصير الدنيا طيراً مذعوراً، ليتضاعف عدد الطيور، تتجمع حول بعضها، لتنحدر حول الأردن، وباتّجاه الصحراء تعبر أرض الدائرة "طيور أبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل" وجوه صفر خائفة تركض نحو اللاشيء، خطوات ضاربة يزداد ثقلها على سمعه، خطوات بطيئة... خطوات.." (عبد القادر، ١٩٧٧، الصفحات ٢٣٩-٢٤٠) (Abdul Qader, 1977, p. 239-240)، وكما نلاحظ استلهمت القصة النص القرآني بوصفه قيمة مقدّسة إذا ما كانت الحرب تحمل صفة الدفاع والتصدّي للشر، وتمثّل قيمة رفيعة لصيانة الذات والمكان والقيم الإنسانية الرفيعة، والتناص أو الاقتباس من القرآن الكريم إيحاء بضعف الجيوش العربية وتمسّكها بالكلام والدعاء، وليس التصدي بالسلاح الفتاك على ما أظن.

تجسد قصة (الشهود والشهداء) للقاصة لطفية الدليمي وقائع رجم وصلب الشخصيّة الصوفية المعروفة (الحلاّج) وتضمنت القصّة أحداث اليوم الذي صلب فيه، وفيها حوار بينه وبين صالبيه قبل الصلب إذ كشف حماسة الحلاّج لملاقاة ربّه، وعبر هذه الشخصيّة يتجلّى المقدّس الأعظم (الله) لأن الحلاج ذائب بالذات الإلهية حبّاً وغياباً وتمجيداً، وكان موقف أنصار الحلاج ممثّلاً بابن عباس وأبي بكر الشبلي والمعدمين والمحبين له وللمحبوب الأوّل الذي هو (الله)، وتضمنت القصّة إشارات إلى طقوس القداسة مثل أداء الصلاة والشهادة والأدعية حيث يقول الحلاّج عن ملاقاته لربّه سعيداً "شكراً للخالق الذي أنصف حالي في الحب إذ عاقبني في بدني" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ٤٠٠) (Abdul Qader, 1977, p. 400)، بمعنى أن الروح بقيت صافية عاشقة للذات الإلهية، وذكر في مقولة أخرى طقس القربان والأضاحي كطقس من طقوس الشهادة "تُهدى الأضاحي، وأهدي مهجتي وروحي لله" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ٤٠١) (Abdul Qader, 1977, p. 401)، ومقولة أخرى تتضمن الإشارة إلى الذات الإلهية، وتعكس القيم والمعاني المقدّسة التي ترتبط قدسيّة الشهادة وكلّها درب لمعرفة الله والخشوع لإرادته يقول: "إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره..." (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ٤٠٢) (Abdul Qader, 1977, p. 402)، والهاء في (تعرفوه) تعود للمقدس الأعظم الذي هو الله، فطقوس الدعاء وذكر القيم والمعاني المقدّسة ترتبط بمشهد الشهادة والموت في سبيل الله، وهذا ما جسدته القصّة وهي تعبر عن وقائع واستلهمات اليوم الأخير في حياة (الحلاّج).

وتمثّل طقوس (الرجم والصلب) ما هو مضاد للمقدّس بسبب سوء التأويل يقول ابن عباس: "يا تلامذة الحلاّج، يا أهل الطرق الصوفية، يا كلّ الناس... اليوم يرجم الحلاّج ومن يمتنع عن رجمه يقتل في اللحظة" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ٤١٢) (Abdul Qader, 1977, p. 412)، ونلحظ القسوة في هذا الخطاب التحريضي ضد رجل نذر نفسه لحب الذات الإلهية وذاب فيها، وتتجلى الطقوس المقدّسة (الوضوء) و (الصلاة) في المقطع الآتي:

"جئت أوقظك لصلاة الفجر.. هبطت السلّم للوضوء..
قالت لي ابنته، قلت: اعلمي أنك ستصلين له... اذكري ذلك.
قالت: لأبي الحسين بن منصور" (عبد القادر، ١٩٧٧، صفحة ٤٢) (Abdul Qader, 1977, p. 42).

وتجسّد المقولات التي تضمنتها القصّة للحلاّج جانباً من جوانب القيم المقدّسة التي آمن بها، وضحّى من أجلها، وعلى طريقة العارفين السالكين يقول "يا صوت الحق، أين الناس سطوح الحق، إنْ قتلت أو صلبت أو قطّعتْ يداي ورجلاي فما ارجع عن دعواي... ربّ اعفُ عن الخلق ولا تعفُ عنّي وارحمهم ولا ترحمني، فلا اخاصمك في نفسي ولا اسألك بحقّي... الحبيب استزار حبيبه، والمريض أمّ طبيبه، وفي غدٍ يكون العرس فانتقبوا، وعند الصباح يكون الجمع فتأهبوا، تناولت صفات الصفات ودنا الأجل للميقات..." (عبد القادر، ١٩٧٧، الصفحات ٤٢، ٤٢٢-٤٢٤) (Abdul Qader, 1977, p. 42,422-424) ، وما يهمنا في القصّة ليس هو الحلاّج إنما الذات المقدّسة عنده

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

وأعنى (الله) (ﷻ)، وهو في كل كلامه يرى الله ملاذه وراحته وحبيبه، ومن خلال دراستنا للقصة القصيرة "وجدنا أنّ الأدب فيها قد تأثر بطبيعة الحياة القائمة، ونوع البيئة التي عاش فيها " (الحلي، ٢٠١٣، صفحة ١٤) (Al-Hilli, 2013, p. 14).

الخاتمة :

تضمنت القصص القصيرة العراقية أبعاداً متعدّدة من خلال توظيف المقدّس، فهناك الألقاب الدينية وسيميائية الأسماء والطقوس والقيم الدينية فضلاً عن الوقوف عند الشخصيات المحورية التي تجسّد تلك القيم في تفاعلها السردي مع الآخرين .

Funding
This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors

Conflict of Interest
The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper

Acknowledgments
The authors would like to extend their heartfelt thanks to institution, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance provided by the institution have helped tremendously in completing this research.

References

المراجع :

د.أثير محمود شهاب، و وسن مرشد محمود. (العدد ٣ المجلد ٢٧, ٢٠١٧). السلطة الدينية في شعر عدنان الصائغ. *مجلة كلية التربية للبنات- جامعة بغداد*.

الأسعد العياري. (٢٠١٤). *الدّم في النصوص المقدّسة*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الأسعد العياري. (٢٠٢٢). *تنوير المقدّس ، مقاربات في كلام الله*. تونس: دار الأمنية للنشر والتوزيع.

أماني أبو رحمة. (٢٠١٠). *جماليات ما وراء القص، دراسات في روايات ما بعد الحداثة*. سوريا: دار نينوى.

الحاج القدميري. (العدد ٢٧ كانون الثاني, ٢٠٢١). مفهوم المقدّس في الأديان السماوية الوضعية. *المجلة العربية للنشر العلمي*.

جواد عبد الكاظم محسن. (٢٠١٩). *العرّافة وقصص أخرى*. الحلّة: دار الفرات.

حسين الحاج. (١٩٨٣). *علم الاجتماع الأدبي*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

حمزة عليوي. (٢٠٢٢). *سرّ الإسكندر الأكبر، غازي العبادي، مختارات قصصية دراسة واختيار* . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

د. داود سلمان العنبكي، و سولاف مصحب مهدي. (المجلد ٢٧, ٢٠١٧). الرواية المصطلح والتطور والخصائص في ضوء تجربة الناقد شجاع العاني. *مجلة كلية التربية للبنات- جامعة بغداد*.

د. طلال خليفة سلمان، و نور الهدى أحمد عبود. (المجلد ٢٦, ٢٠١٥). فاعلية شخصية المرأة بين الحدث العام والخاص في الرواية النسوية العراقية. *مجلة كلية التربية للبنات - جامعة بغداد*.

سليم عبد القادر. (١٩٧٧). *قصاصون من العراق - مختارات*. بغداد: وزارة الإعلام.

شذى خلف حسين. (٢٠٢٢). *سيدنا الخليفة، عبد الستار ناصر (مختارات قصصية) دراسة واختيار*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

عبد الإله علاّم. (٢٠٢٣). *انثروبولوجيا المقدّس والفرجة الشعبية*. المغرب: دار افريقيا الشرق.

عبد اللطيف الزكري. (٢٠١٢). *جماليات القصّة القصيرة العربية الحديثة دراسة في المكونات الفنية*. بيروت: دار الانتشار العربي.

عواد كاظم الغزّي. (٢٠٢٢). *أحلام المنافي، جمعة اللامي، (مختارات) دراسة واختيار* . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

كاظم الحجاج. (٢٠٠٢). *المرأة والجنس بين الأساطير والأديان*. بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.

كوثر محمد علي جبارة. (٢٠١٢). *تبئير الفواعل الجمعية في الرواية*. سوريا: دار الحوار.

مارتن هيدجر. (١٩٧٧). *نداء الحقيقة*. (ترجمة ودراسة: عبد الغفار مكاوي) القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

د. محمد حسين الحلي. (المجلد ٢٤, ٢٠١٣). الأدب السياسي البغدادي (دراسة مقارنة). *مجلة كلية التربية للبنات - جامعة بغداد*.

محمد خضير. (٢٠٠٦). *في درجة ٤٥ مئوي*. بغداد/ المانيا: منشورات الجمل.

محمد خضير. (٢٠٢٣). *عيوان المشنوقين ، مختارات قصصية*. بغداد: دار المدى.

محمد خضير. (دون تاريخ). *المملكة السوداء*. بغداد: وزارة الإعلام - سلسلة القصة (١٥).

مرسيا إلياد. (٢٠١٨). *المقدّس والدنيوي*. (ترجمة: أحمد آيت إحسان) سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر.

موسى كريدي. (٢٠٢٢). *طقوس العائلة - مختارات قصصية*. (دراسة واختيار: علي سعدون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.1-11
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ١-١١
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

وسن مرشد محمود. (٢٠١٨). *نقد المقدس الديني في الرواية العراقية*. بغداد: أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية التربية للبنات- جامعة بغداد.

References:

Abdel-Ilah Allam. (2023). Anthropology of the Sacred and Popular Spectacle. Morocco: Dar Africa Al Sharq.

Abdul Latif Al-Zakri. (2012). The Aesthetics of the Modern Arabic Short Story: A Study of Artistic Components. Beirut: Dar Al-Intishar Al-Arabi.

Al-Asaad Al-Ayari. (2014). Blood in the Holy Texts. Morocco: Arab Cultural Center.

Al-Asaad Al-Ayari. (2022). Enlightenment of the Sacred, Approaches to the Word of God. Tunis: Dar Al-Amaniya for Publishing and Distribution.

Al-Hajj Al-Qadmiri. (Issue 27 January, 2021). The Concept of the Sacred in Positive Heavenly Religions. The Arab Journal of Scientific Publishing.

Amani Abu Rahma. (2010). Metafictional Aesthetics, Studies in Postmodern Novels. Syria: Nineveh House.

Awad Kazem Al-Ghazi. (2022). Dreams of Exile, Jumaa Al-Lami, (Selections) Study and Selection. Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.

Dr. Athir Mahmoud Shihab, and Wasan Murshid Mahmoud. (Issue 3, Volume 27, 2017). Religious Authority in Adnan Al-Sayegh's Poetry. Journal of the College of Education for Girls - University of Baghdad.

Dr. Dawood Salman Al-Anbaky, and Solaf Musaheb Mahdi. (Volume 27, 2017). The Novel: Terminology, Development, and Characteristics in Light of the Experience of Critic Shujaa Al-Ani. Journal of the College of Education for Girls - University of Baghdad.

Dr. Muhammad Hussein Al-Hilli. (Volume 24, 2013). Baghdadi Political Literature (Comparative Study). Journal of the College of Education for Girls - University of Baghdad.

Dr. Talal Khalifa Salman, and Nour Al-Huda Ahmed Aboud. (Volume 26, 2015). The effectiveness of the female character between the public and private event in the Iraqi feminist novel. Journal of the College of Education for Girls - University of Baghdad.

Hamza Aliwi. (2022). The Secret of Alexander the Great, Ghazi Al-Abadi, Selected Stories, Study and Selection. Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.

Hussein Al-Hajj. (1983). Literary Sociology. Beirut: University Foundation for Studies and Publishing.

Jawad Abdul-Kadhim Mohsen. (2019). The Fortune Teller and Other Stories. Hillah: Dar Al-Furat.

Kawthar Muhammad Ali Jabara. (2012). Focusing on collective agents in the novel. Syria: Dar Al-Hiwar.

Kazem Al-Hajjaj. (2002). Women and Sex between Myths and Religions. Beirut: Arab Diffusion Foundation.

Martin Heidegger. (1977). The Call of Truth. (Translation and Study: Abdel Ghaffar Makkawi) Cairo: Dar Al-Thaqafa for Printing and Publishing.

Mircea Eliade. (2018). The Sacred and the Profane. (Translated by: Ahmed Ait Ihsan) Syria: Dar Al-Hiwar for Printing and Publishing.

Muhammad Khadir. (2006). At 45 degrees Celsius. Baghdad/Germany: Al-Jamal Publications.

Muhammad Khadir. (2023). The Hanged Man's House, Selected Stories. Baghdad: Dar Al-Mada.

Muhammad Khudair. (undated). The Black Kingdom. Baghdad: Ministry of Information - Story Series (15).

Musa Kredi. (2022). Family Rituals - Selected Stories. (Study and Selection: Ali Saadoun) Baghdad: General Cultural Affairs House.

Saleem Abdul Qader. (1977). Storytellers from Iraq - Selections. Baghdad: Ministry of Information.

Shaza Khalaf Hussein. (2022). Our Master the Caliph, Abdul Sattar Nasser (Selected Stories) Study and Selection. Baghdad: General Directorate of Cultural Affairs.

Wasan Murshid Mahmoud. (2018). Criticism of the religious sacred in the Iraqi novel. Baghdad: PhD thesis (unpublished) College of Education for Girls - University of Baghdad.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .